

الصلات الحضارية بين حضارتي السند ووادي الرافدين

الدكتورة

إيمان عبد الصاحب

كلية التربية – جامعة دمشق

سوريا

الخلاصة

ظهرت في بلاد الهند حضارات عدة وهذه تسمى بحضارات وادي السند، وجاءت هذه التسمية لوقوعها على نهر السند، وعلى الضفة الغربية منه. من أشهر من هذه الحضارة مدينة موهنجودارو والتي تقع على مسافة 140 ميلا شمال مدينة كراچي (1) وقد زامنت هذه الحضارة حضارة بلاد سومر من حيث النشوء والتطور إلا ان الحضارة السومرية تعد الأكثر تفوقا في العلوم والمعارف المختلفة (2). هذا وان المقصود ببلاد الهند اعلاه بلاد الهند حاليا مضاف لها الباكستان الحالية واجزاء من بلاد افغانستان (3).

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند

ارتبطت بلاد الرافدين بعلاقات متعددة مع بلدان العالم المختلفة ومنها بلاد حضارة السند ، وهذه الحضارة شغلت فترة زمنية طويلة جدا وسيتم استعراضها حسب التسلسل الزمني لها.

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند خلال عصر دويلات المدن السومري

يعتبر عصر دويلات المدن السومري او ما يسمى بعصر فجر السلالات (2450-2850 ق.م) بداية العصور التاريخية في بلاد الرافدين. العلاقات بين الحضارتين لم تأخذ شكل التبادل التجاري فحسب بل شملت الاستقرار في بلاد سومر، فمنذ عام 2800 ق.م استقرت مجموعة من التجار الهنود والذين جاؤوا من منطقة بلوجستان (شمال غرب الهند) في بلاد سومر وكان هؤلاء منغلقيين على انفسهم وايضا يمارسون طقوسهم بذات الانغلاق (4) وهذا يظهر من خلال ما عثر عليه من لقي اثرية اذ عثر على اناء وختم اسطواني من اور، وكذلك على دمي من سوسة ويظهر في جميعها الثور الهندي المعروف بالسنام المميز وفي بعضها الاخر عثر على مشاهد دينية ، وهذه جميعها تؤيد سكن مجموعات من الهنود في بلاد الرافدين(5).

ومن الدلائل ايضا على وجود علاقات بين بلاد الرافدين وبلاد الهند وخلال عصر دويلات المدن السومري فقد تم العثور على خاتم في مدينة كيش وعليه ثعبان برأسين وهذا الرمز يرجع الى اقدم السكان الهنود ويطلق عليهم (الناجا) وكانوا يعبدون الثعابين (6).

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند خلال العصر الاكدي

تمكن سرجون الاكدي من تاسيس دولته خلال عام 2371 ق.م وارتبطت دولته هي الاخرى بعلاقات تجارية مع بلاد السند والتي ظهرت فيها خلال هذه الفترة، اي الفترة الاكديّة، حضارة هرابا في حدود سنة 2500 ق.م ومكان ظهور هذه الحضارة كان على ضفاف نهر الراوي في ولاية الانجاب (7) وتطورت هذه العلاقة بحيث يمكن الاستدلال على ذلك من خلال اللقى الاثرية التي عثر على بعض منها في مدينة اور ومنها ختم يظهر عليه صورة ثور هندي وعليه كتابة من عصر هرابا وهذا الختم شبيه بالاختام الدائرية التي كشفت عن الكثير منها في بلاد السند وايضا عثر على اختام مربعة وهذه اصلها من حضارة السند في اور وكيش واسثونا (8)، مما يشير الى قوة العلاقة بين الهند وبلاد الرافدين وايضا خلال هذا العصر استقرت جماعة من الاكديين في مدينة هرابا، وقد يكون السبب في سكن هؤلاء هو التجارة.

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند خلال عصر اور الثالثة

لم تستمر العلاقات على ماهي عليه خلال فترة السيطرة الكوتية، فقد شهدت فترة من الاضطرابات، الا ان سياسة الملك اور- نمو (2212-2095 ق. م) اسهمت وبشكل كبير في تطور العلاقات والعودة بها الى سابق عهدها اذ اعاد الامن الى الممر الاله الى بلاد الهند والمتمثل بالخليج العربي (البحر الاسفل) كما عمل على تأمين التجار ومصالحهم ومن دلائل عودة النشاط التجاري فقد عثر على ختم اسطواني يعود الى حكم الملك السومري (2046-2038 ق.م) نقش عليه نخلة وثور نوحديبة (9)، كما اقدم الملك ابي - سن(2028-2004 ق.م) على استيراد مواد مثل النحاس والعقيق وخشب الميسو وتم تصدير مواد عديدة عبر الخليج العربي (10).

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند خلال العصر البابلي القديم

العلاقة خلال هذا العصر اي البابلي القديم (2004-1595 ق.م) كانت اكثر تواسلا وقد اشار الى هذا التواصل لوبيون بالقول كان البابليون اعظم امم عصرهم في الملاحة لان كل من دجلة والفرات كان يصب في الخليج العربي فانفتح امامهم الطريق الى شواطئ البلاد البعيدة كالهند الغنية بكنوزها (11).

كما عثر على ختم في مدينة لكش الاثرية يعود للعصر البابلي القديم عليه كتابة من وادي السند وعثر على امشاط عاجية في مدينة اور يذهب الى جلبت من الهند (12).

علاقة بلاد الرافدين مع بلاد السند خلال العصر البابلي الحديث

استمرت العلاقات وتطور متصاعد خلال العصر البابلي الحديث (622-539 ق.م) واقدم ملوك الدولة البابلية على تطوير المرافئ لغرض زيادة النشاط التجاري مع بلاد الهند فقام الملك نبوخذ نصر الثاني (604-562 ق.م) بانشاء مرفئ ومدينة غرب نهر الفرات الهدف منها توسيع التجارة مع بلاد الهند وصولا الى بابل عبر الخليج العربي (13).

الطرق التجارية

اتخذ التجار من مجاري الانهار الوسيلة لغرض نقل بضائعهم، اذ سلكت السفن مجرى نهري دجلة والفرات ومنها الى الخليج حتى الهند (14)، هذا وان استخدام المجرى النهري للخليج العربي بدأ منذ وقت بعيد (15)، اذ كانت الرحلات تنطلق من موانئ خاراكاس (16)، ادفيا الايلة (17)، او فورات ويسير بعدها بمحاذاة السواحل الايرانية حتى يصل الى مضيق هرمز، ثم تمر بعد ذلك السفن بميناء كوكم والذي يبعد مسافة شهر عن مضيق هرمز بعدها تدخل السفن بحر الهركند وبعدها تدخل منطقة بينج ومنها الى كلا او كلة وهي في منتصف الطريق

بين عمان والصين ثم تصل الى تومق ومنها الى كورنج ومنها الى ابواب الصين ومدة الطريق تكون 40 يوماً . كان التبادل التجاري ينتقل من الحدود الشمالية الغربية للهند عبر ايران وصولاً الى بلاد الرافدين وهذا الطريق يبدو انه الذي كانت تنقب عبره الفيلة والجمال (18).

البضائع المتبادلة

تبادلت بلاد الرافدين مع بلاد الهند البضائع التجارية، فكل واحدة منها تصدر للأخرى بضائع معينة وتستورد منها، وكانت اهم الصادرات السومرية الشعير والزيوت والجلود والصوف والتمور والمنسوجات (19)، بينما استوردت بلاد الرافدين من الهند مواد العاج واصداف المحار وكذلك الاحجار الكريمة وخشب السيسو وطيور الطاووس (20). ومن الاخشاب التي استيرادها ساج المرهتية وهذا النوع تم العثور عليه في قصر الملك نبوخذ نصر الثاني وايضا في معبد الاله القمر في اور (21). كذلك استوردت بلاد الرافدين الفيلة والجمال من بلاد الهند (22) وكذلك تم استيراد اللازورد من بلاد افغانستان حالياً (23). كذلك استوردت بلاد الرافدين النحاس، اذ يرد في احد (24) النصوص المسمارية ان الكمية المستوردة بلغت 7-8 طن وكذلك استوردت بلاد الرافدين من السند مادة القطن ويشير الى ذلك احد الرقم الذي تم العثور عليه في مكتبة الملك الاشوري اشور بانيبال، اذ وجد فيه كلمة (سندهو) الهندية والتي تعني القطن (25).

كانت التجارة وسيلة للتبادل الثقافي بين الحضارتين، اذ حفظت اللغة السنسكريتية كلمات بابلية وكذلك حفظت الاشورسة كلمات سنسكريتية اذ ترد فيها كلمة وي لاجي we-lagi وهو اسم لثعبان يظهر في اسطورة اتيرواويد الهندية. ويعتقد ان اسمه الاصلي بي لي جي وذاها كان من الالهة الاشورية القديمة (26) والاسم الثاني المحفوظ هو هائي لو موجود في السنسكريتية ويعتقد ان اصله يعود الى الاله البابلي والاشوري ايل (27).

ايضاً ساهم التبادل التجاري بالتبادل الثقافي، اذ اعتمد الهنود منازل القمر وهو نظام بابلي اقتبسته الحضارة الهندية، كما ان التبادل بالفضة في عقود البيع هو الاخر مقتبس من الحضارة الرافدينية (28).

أما على الصعيد الديني فقد كانت لحضارة هرابا نصيب كبير في التأثير بالفكر الديني لبلاد الرافدين ويشاهد في اختتام هذه الحضارة صورة الاسد ذو اليدين المفتوحتين وبقرنين وهو يحاول الاجهاز على نوع غريب من الثيران وهو ما عرف في بلاد الرافدين في المشاهد الدينية (29).

الخاتمة

كشفت البحث عن جملة من الامور، منها ان الصلات بين الحضارتين قائمة منذ اقدم العصور. ايضاً، وأن الطرق التجارية لم تكن تقتصر على نوع واحد، بل كانت تستخدم الطرق البحرية اضافة الى الطرق البرية، وكذلك تنوعت البضائع التي تم تبادلها بين الحضارتين، وان الجانب التجاري كان له دور كبير في التأثير الثقافي والديني لكلا الحضارتين. كشفت البحث ايضاً عن وجود جماعات استوطنت بلاد الهند وهم من سكان بلاد الرافدين وكذلك وجود جاليات هندية استوطنت بلاد الرافدين ومنذ عصور تاريخية بعيدة. ولم تقتصر التجارة بين الحضارتين على فترة مجدودة، بل شملت اغلب عصور التاريخ القديم لبلاد الرافدين.

المصادر

- (1) باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق للنشرالمحدودة ، بغداد، 2011م ، ج 2 ، ص 376.
- (2)م، ن، ج 2 ، ص 376.
- (3)www-qatarshares.com.olgeeria-3
- (4) Rao .s,R.shipping and Maritiitime Trade of the Induspeople (London 1975)vd7-
- (5) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عماد سليمان، ط 2، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1979م، ص 131.
- (6) ديوارينت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب رضا، ط 3، القاهرة، مجلد 1، جزء 3، 1968، ص 19.
- (7) الاحمد، سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي منذ اقدم العصور حتى التحرير العربي، البصرة، 1985م، ص 196.
- (8)م، ن، ص 196.
- (9) الاحمد، تاريخ الخليج العربي...، ص 247.
- (10) شويحات، احمد، دور العرب في ثقافة العالم وحضارته، مطبعة العزيزات، القاهرة، بلا ت ص 54.
- (11) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1969، ص 87.
- (12) الاحمد، تاريخ الخليج العربي...، ص 241.
- (13) ولسن، ارنولد، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت بلا ت.
- (14) البكر، منذر عبدالكريم، دولة ميسان العربية، مجلة المورد، مج 15، عدد3، بغداد، 1986م ص 26، جاء اسم دجلة في النصوص السومرية بهيئة (أدكنا-Idigna) وانتقلت الى اللغة الاكدية على هيئة دقات Digital، ينظر طه باقر، تراثنا اللغوي القديم، بغداد، 1980م، ص 169 اما الفرات فقد ذكرت بالسومرية بالصيغة BURANUN والاكديية بوراتم PURATTUM ينظر جمال بابان، اصول اسماء العراق وانهاره الرئيسية، مجلة افاق عربية، العدد 7، بغداد 1980، ص 101.
- (15) البكر، دولة ميسان...، ص 15.
- (16)م، ن، ص 15.
- (17)م، ن، ص 15.
- (18) اوليدي، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة كامل وهيب، القاعرة، 1962، ص 131.
- (19) الندوي، محمد اسماعيل، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ط 1، دار الفتح للطباعة والنشر، ص 7.
- (20) الاحمد، تاريخ الخليج العربي...، ص 206.
- (21) يوسف، محمد، علاقات العرب التجارية منذ اقدم العصور الى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الاداب، جامعة الملك فؤاد الاول، مج 15، ج 1، القاهرة، 1953، ص 8.
- (22) اوليدي، علوم اليونان، ص 131.
- (23) الهاشمي، رضا جواد، النشاط التجاري القديم في الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 12، بغداد، 1980، ص 14.
- (24)م، ن، ص 203.
- (25) يوسف، علاقات العرب التجارية...، ص 9.
- (26) وي ايس، اكرولا، العلاقات الثقافية بين الهند والشرق الاوسط، مجلة ثقافة الهند، مج 2، 24، الهند، 1951، ص 91.
- (27)م، ن، ص 91.
- (28) يوسف، علاقات العرب التجارية...، ص 9.
- (29) الندوي، تاريخ الصلات...، ص 10.